

**فلسطين في الشعر السوداني الحديث (الهادي آدم، محمد الفيتوري، عبدالقادر
الكتيabi، نموذجاً)**

طالب الدكتوراه قاسم خالدي نژاد

khalediqasem@yahoo.com

الأستاذ الدكتور

علي نظري

alinazary2002@gmail.com

الأستاذ المساعد الدكتور

سيد محمود ميرزااي الحسيني

mahmudalhossaini@gmail.com

جمهورية إيران الإسلامية

جامعة لورستان - قسم اللغة العربية

المخلص

تناولت هذه الدراسة، عبر منهج تحليلي - وصفي، إحدى الاتجاهات الشعرية في الشعر السوداني الحديث وقد اتخذت لها نموذجاً، كل من الشعراء: الهادي آدم (١٩٢٧-٢٠٠٦) و محمد الفيتوري (١٩٣٦-٢٠١٥) و عبدالقادر الكتيابي (١٩٥٤) لتمييط اللثام عن آراء وأفكار الشعراء السودانيين في العصر الحديث حول القضية الفلسطينية وكيفية معالجتهم لها والحلول التي يقدمونها بغية التخلص من الاحتلال الصهيوني، وقد تطرقت هذه الدراسة إلى الأسباب التي أدت إلى استمرار الاحتلال وطول أمده حتي اليوم وعلي رأس هذه الأسباب خيانة وتقاعس الحكام العرب وعدم الأخذ بالقرآن الكريم وسنة النبي (ص) والسلف الصالح في الجهاد والتضحية في سبيل إحقاق الحق ودحض الباطل. وقد اتسمت أشعارهم بكثرة الاقتباس من القرآن الكريم والموروث الإسلامي، الأمر الذي ترك طابعاً إسلامياً، قرآناً علي ص: الكثير من نصوصهم.

الكلمات الدليلة: فلسطين - الشعر السوداني - الفيتوري - الكتيابي

المقدمة:

فلسطين، ومنذ احتلالها عام ١٩٤٨ م، شغلت أذهان الشعراء العرب وأضحت إحدى اتجاهاتهم الشعرية وذلك لما تشكله هذه القضية من أهمية دينية وإنسانية باعتبارها

تضم المسجد الأقصى، و أولي القبلتين ،ومسري النبي الكريم (ص) وهي قضية إسلامية وإنسانية لأن شعبها تعرض لأبشع أنواع الظلم والاضطهاد واغتصبت أرضه ونهبت ثرواته من قبل المحتلين الصهاينة وأضحى مشرداً في شتي بقاع الأرض، ولذلك قلما تشاهد شاعراً عربياً يمتلك ضميراً حياً ، لم يتطرق إليه القضية ويعالجها في شعره. ومن هذا المنطلق سعت هذه الدراسة إلي استبيان مواقف ثلاثة من الشعراء السودانيين في العصر الحديث حول هذه القضية وهم :الهادي آدم^١ (١٩٢٧-٢٠٠٦) ومحمد الفيتوري^٢ (١٩٣٦-٢٠١٥) وعبد القادر الكتيابي^٣ (١٩٥٤).

ومن الأبحاث التي أجريت في هذا المجال:

١- مقال باللغة الفارسية تحت عنوان: « ادبيات مقاومة □ لكاتبه حسن مجيدي، نشرته جامعة باهنر كرمان عام ١٣٩٠ هـ ش، ناقش فيه الكاتب وضع الدول العربية التي تعرضت للاحتلال وهي لبنان والعراق وفلسطين، وأسباب اندلاع الحرب في هذه البلدان وموقف الشعراء من مقاومة المحتل.

٢- دراسة قام بها الدكتور يوسف شحدة تحت عنوان: « الأدب المقاوم في فلسطين» نشرتھا الجامعة الإسلامية بغزه وقد عنيت بنقد نصوص الشعراء الفلسطينيين الذين تحدثوا عن قضيتهم، ولكني لم أعثر علي دراسة تعني باستبيان مواقف الشعراء السودانيين في العصر الحديث من هذه القضية، الأمر الذي دفعني إلي القيام بهذه الدراسة.

فلسطين

١ - فلسطين وخيانة الحكام العرب:

تخطي القضية الفلسطينية باهتمام بالغ لدي الشعراء والأدباء في كافة أنحاء العالم الإسلامي والعربي باعتبارھا القضية المركزية للعالمين، الإسلامي والعربي. والشعراء السودانيون لم يغفلوا هذه القضية بل تناولوها في أشعارهم من مختلف الزوايا وشغلت مساحات واسعة من دواوينهم الشعرية لما لهذه القضية من قداسة لدي الشعوب الإسلامية. ولا يخفي أن الشعب السوداني وبما يتمتع به من خلفية إسلامية، يولي اهتماماً كبيراً بالقضية الفلسطينية وبالمسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم (الإسراء:١).

فالشاعر السوداني الهادي آدم (١٩٢٧-٢٠٠٦) يستغرب كيف استولي الدخلاء علي فلسطين التي كانت من قبل موطناً للعرب وكيف تشرد أهلها وتفرقوا وأصبحوا جياً وعراً ، بينما ينعم المحتل بخيرات أرضهم ، وكيف أخذ أهلها يلقبون باللاجئين وأصبح المستوطنون هم أهل الأرض ومالكوها:

«فلسطين كانت قبل للعرب موطناً فما بالها استولي عليها دخيلها
وشرد عنها أهلها ففرقوا أيادي سبا واختال فيها نزيلها
جياً وللعداء من خير أرضهم مغانم يغذي بالحرام أكلها
مضي أهلها الأحرار عنها فأصبحت تلقبهم باللاجئين فلولها» (آدم:١٩٩٢:٧٦)
ثم يقول الشاعر إن هذا الظلم مهما قوي واستطال فإنه لا يقوي علي الحق وفي نهاية الأمر لابد للحق أن ينتصر ولا بد للظلم أن يزول ، وإذا كان الغاصبون قد حصلوا علي دولتهم من خلال وعد بلفور المشؤوم ، فإن لله سبحانه وتعالى «قولة سيقولها» ، وربما يكون الشاعر هنا ، يشير إلي الوعد الإلهي في القرآن الكريم والذي وعد فيه دولة اليهود بالزوال حيث قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئَرُوا وَلِجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء:٧)

«هو الظلم لن يقوي علي الحق بطشه وللحق صولات شداد يصولها
إذا جاءها عن وعد بلفور غاصب فلله فيها قولة سيقولها»
(نفس المصدر)

اما الشاعر محمد الفيتوري يشعر بالحزن والغضب إزاء الجيوش العربية التي «سمت في حظائر حكامها» ولكنها لا تغني من جوع ، فهؤلاء الذين تربوا في حظائر الحكام المتخاذلين ، غير قادرين علي استعادة فلسطين لأنهم وكما وصفهم الشاعر قد انطبق عليهم المثل العربي المأثور «لقد استنوق الجمل» ، فالأرض المغتصبة لا تستردها النياق بل هي بحاجة إلي رجال أسود:

«والجيوش التي سمت في حظائر حكامها/كذبة و اختلاق/إنما يسترد البلاد/الرجال الأسود/وليس الرجال النياق» (الفيتوري:١٩٩٤:٩٤)

وفي مقطع آخر يتحدث الفيتوري عن اليهود الذين صلبوا «الله» في القدس، متبنياً فكرة المسيحيين الذين يرون أن الله سبحانه قد تجسد بصورة المسيح وقدم نفسه قرباناً للبشرية، ويقول الفيتوري إن هؤلاء الذين صلبوا «الله» في القدس عادوا إلي صلبه اليوم في الأزهر الفاطمي، وربما يقصد بذلك أن اليهود ومن خلال احتلالهم للقدس قد صلبوا المسيح مرة ثانية ولكن هذه المرة ليس في القدس بل في ساحة الأزهر الذي يرمز هنا إلي الرقعة الإسلامية التي وقعت عليها أول خيانة للحاكم العربي - خيانة السادات علي أرض مصر التي تضم الأزهر الشريف - ولا يخفي علي الشاعر الدور الذي لعبه الخائن العربي في هذه القضية:

«من صلبوا الله في القدس/عادوا إلي صلبه اليوم في ساحة الأزهر الفاطمي/حصاد طويل من الثمر المر يا أورشليم/وتمشين مختالة الخطو فوق التراب المقدس/والخائن العربي يخبي رعشته في ثيابك» (الفيتوري ١٩٩٢: ٤٤)

والشاعر عندما يشاهد الفجيعة ويرى أورشليم قد ملأت كأسها بدماء المسلمين، لا يجد ما يقوله إزاء ما شاهده من هول هذه الفجيعة ويتمني لو يتفوه بأغنية تخرجه من هذه الصدمة:

«يوم شهدت الفجيعة عانقت صمتي/ثم شهدتك حاملة كأسك الذهبية/مملوءة من دمي/فتشيت أغنية قبل موتي» (المصدر السابق)

ويرمز الشاعر إلي الحاكم العربي بفرعون هذا العصر لما يمارسه من ظلم وطغيان بحق شعبه، وفي الوقت ذاته يذكر اليهود «بفرعون» الذي كان قد سامهم خسفاً وأنه لم يعد الآن موجوداً، ففرعون اليوم غير فرعون الأمس، فرعون اليوم أصبح تمثالاً وتابوتاً عديم الذاكرة والإحساس، لا يتقن إلا الخيانة ولا يتدثر إلا بالصمت، إلا أن للشعب المتحدي كلمة أخرى:

«يا أورشليم/وها أنت ذا تضعين الزهور علي رأس فرعون/كم زهرة سوف تصفر من بعد/كم شمعة سوف تغرق في الحزن/يا أورشليم/.../فالتماثيل ميتة والتوايت فاقدة الذاكرة/والخيانة فرعون لا شعبي المتحدي هناك» (نفس المصدر)

ويستمر مسلسل الشكوي من الخيانة فإنه بعيد الغور في ذاكرة الإنسان العربي، فهو بعد المحتل، يعد العامل الثاني في تدهور أوضاع الأمة العربية وعدم قدرتها علي استعادة

حقوقها المغتصبة، فخيانة الحكام هي التي جعلت نجمة اليهود مازالت مشتعلةً علي الأرض المحتلة حتي اليوم:

«هناك لبنان والأرض التي غضبت/لوقع أقدام من خانوك يا جبل.../ودارتي قطعة من صخرة سقطت/من نجمة لم تزل في الأفق تشتعل» (الفيثوري ١٩٩٢:٦٦)
ولكن إذا كان الحاكم خائناً فالشعب لم يخن و لم ينس قتلاه و«الأمة التي أعطت الدنيا حضارتها» لن تبق هامدةً لأنها تمتلك إرادةً تتحدي الموت:

« وإن يخن خائن أو ينتكس علم/فالشعب لم ينس قتلاه ولم يخن/أ أمة أعطت الدنيا حضارتها/يوماً وكانت كتاب المجد حيث فني/تظل مطرقةً موتاً وفي يدها/إرادة إن تمس الموت يحرقن» (الفيثوري ١٩٩٤:١٣٣)

وكان أبرز مثال لخيانة الحكام العرب، خيانة الرئيس المصري الأسبق، أنور السادات(١٩١٨-١٩٨١) الذي أبرم اتفاق السلام مع إسرائيل بشكل منفرد وشتت الشمل العربي وحول القضية من قضية عربية إسلامية إلي قضية فلسطينية، فاستفرد بها الذئب الصهيوني، ولعل الشاعر في الأبيات التالية يشير إلي هذا الموضوع حيث يقول:
«لقد رأيناه/إلا من خيانتة عريان/يرفل في أثوابه الجدد/رأته مصر/فغطت وجهها بيد/كي لا تراه» (نفس المصدر)

والخيانة، من وجهة نظر الشاعر، لم تقتصر علي أصحاب الطرايش من الحكام بل شملت أيضاً، رجال الدين من أصحاب العمام وكذلك المحاكم الدولية التي لم تعط الفلسطيني حقه:

«إنه الأرض التي لم تخن الأرض/وخانتها الطرايش/وخانتها العمام/إنه الحق الذي لم يخن الحق/وخانت الحكومات/وخانت المحاكم» (الفيثوري ١٩٩٢:٥٥)
إحدي أوجه الخيانة لدي الحكام العرب تلك «الصفقات المدانة» التي يبرمونها مع الأعداء، والكبراء المزيف الذي يتسمون به، فقد وصفهم الشاعر «بموميوات شاحخة بالهزيمة ومزهوة بالإهانة»:

«أواه/يا الأوجه الدموية/والصفقات المدانة/تضحكني كبرياؤك/تضحكني الموميوات شاحخة بالهزيمة/مزهوة بالإهانة»(الفيثوري ١٩٩٤:١٣)

ويستنكر الشاعر تقاعس الحكام عن استعادة حقوق أمتهم واكتفاءهم بما وصفها «بحرب الأغاني الوطنية» ويرى أن عار الهزيمة لا يغسله إلا معركة كمعركة القادسية: «العدو يضاجع تاريخكم/ويبارك حرب أغانيكم الوطنية/إن جرح فلسطين ليس تضمنه الكلمات/وعار حزيران/ تغسل عار حزيران معركة القادسية» (المصدر السابق)

وفي قصيدة «مقاطع فلسطينية» يتحدث الفيتوري عن قصة الرجعية الجبابة ونجمة إسرائيل التي ارتفعت فوق المئذنة وحوافر خيولهم التي داست سقف المسجد الأقصى، فأصبحت أرض الأنبياء تستحم بالدماء وتصفر الريح الرمادية في أرجائها: «ليبق كل بطل مكانه/ولتصعق الخيانة/ولتخرس الرجعية الجبابة/فالشعب سوف يغسل الإهانة/.../شوارع القدس الإلهية/تصفّر في أرجائها الريح الرمادية/.../وتستحم الأرض بالدماء/حيث مشي الأنبياء» (موقع: شعراء الفصحى في العصر الحديث)

أما الشاعر عبدالقادر الكتيابي يشك في التاريخ العربي و ما فيه من قصص البطولة والفداء، لأن الحاضر المزري وما يمرّ فيه العرب من ضعف وهوان وتقاعس عن المطالبة بحقوقهم؛ يتناقض تماماً مع ما روي عنهم في سالف الأزمان:

«لا والله يا عرب/أنا منكم وضد قصائد التوبيخ لكني/أشك .. أشك في التاريخ لا أدري/لعل رواته كذبوا» (الكتيابي ٢٠٠٦: ١٢٩)

وقد شبه الشاعر عرب اليوم بأعراب الجاهلية الذين قالوا آمنا (قالت الأعراب آمنا...) فخاطبهم الله سبحانه في القرآن الكريم: «قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم» (الحجرات: ١٤) فالعرب اليوم، ويقصد بهم حكام العرب، لم يؤمنوا بقضيتهم كما آمنوا بالزيت وما يدره عليهم من أموال:

«قالت الأعراب آمنا بهذا (الزيت)/والباقون بالأهرام والعم سام والإعلام/والأغنام - أدناها إلي الذئب - القصية» (المصدر السابق)

ويتابع الشاعر قوله أن فساد الحكام وسيطرة هؤلاء المفسدين علي مقدرات العباد هي التي أدت إلي هذه النكسة التي تعانيها الأمة:

«هكذا حكامنا - قد أفسدوا فينا فسادوا/ واتبعناهم بحق التابعة» (الكتيبي: ٢٢٣)
ويستكر الكتيبي سياسة «ضبط النفس» التي كان وما زال يتبعها الحكام العرب في ردود أفعالهم علي التجاوزات التي يمارسها الصهيانة بحق المسلمين فيقول:
«إنه (فن) يسمى/(فن ضبط النفس) شرطاً/ أن تكون النفس في (الضبط) رضية»
(المصدر السابق)

كما يعبر عن رفضه لكل الأساليب المتبعة في البلدان العربية من أجل نصرة القضية الفلسطينية، من خطب ومؤتمرات وأشعار، ويرى أن هذه الأساليب لم تعد مجدية وقد حان الوقت لقول كلمة «لا» واتباع سياسة الرفض، رفض الاحتلال والظلم وهيمنة الطغاة والمحتلين:

«هذا يوم لا خطباء/ ليس بيوم تصفيق لتلفيق/ ليس بعيد مائدة لمؤتمر/ ولا هو معرض الأزياء/ كفي يا شعر هذا اليوم يوم اللاء» (الكتيبي: ٢٠٠٦: ٢١٥)

٢- فلسطين والحلول المتاحة

٢-١: استنهاض الهمم من خلال التذكير بالرموز الإسلامية والتاريخية

لم يكتف الشعراء السودانيون بالشكوي والتبرم من الحكام العرب فحسب ، بل حاولوا في أشعارهم تقديم الحلول الناجعة للنهوض بالأمة من كبوتها واستنهاض الهمم من خلال التذكير بالرموز الإسلامية والتاريخية التي كان لها الدور الكبير في بناء مجد الأمة والدفاع عن مقدساتها والوقوف بوجه أعداءها من الصليبيين وغيرهم.

وقد استدعا الشعراء السودانيون الشخصيات الإسلامية والتاريخية وأشادوا بإنجازاتها وتناولوها في أشعارهم بغية الاقتداء بها والسير علي نهجها من أجل استعادة الحقوق المغتصبة، ومن أبرز هذه الشخصيات:

١-٢: **صلاح الدين الأيوبي:** هو الملك الناصر ابو المظفر يوسف بن أيوب (١١٣٨-١١٩٣م) المشهور بلقب صلاح الدين الأيوبي، قائد عسكري أسس الدولة الأيوبية التي وحدت مصر والشام والحجاز وتهامة واليمن في ظل الراية العباسية بعد أن قضى علي الخلافة الفاطمية. قاد عدة حملات ومعارك ضد الفرنجة وغيرهم من الصليبيين لاستعادة الأراضي المقدسة وتمكن في نهاية المطاف من استعادة أراضي فلسطين ولبنان، بما فيها

مدينة القدس، بعد أن هزم جيش بيت المقدس هزيمة منكرة في معركة حطين.(ويكيبيديا الموسوعة الحرة)

ولذلك أصبح الناصر صلاح الدين رمزاً يقتدي به في محاربة الصليبيين واستعادة الحق المغتصب ، وأخذ الشعراء السودانيون يذكرونه في أشعارهم بغية تذكير الجيل الحالي بما كانت تمتلكه الأمة من أبطال تمكنوا من خوض غمار الحرب مع المحتلين وتحرير الأراضي المقدسة وإعلاء كلمة الحق ، وتذكيرهم بماضي الأمة المجيد كي يتخذوا من الماضي سلماً ومناًراً للنهوض بواقع الأمة المزري وليثوا روح المقاومة والتحدي في النفوس التي أضحت في الوقت الراهن تركز إلى الضعف والهوان، وفي هذا الصدد يقول الشاعر السوداني محمد الفيتوري:

« إن الذين ذبحوا أطفال دير ياسين/وأكلوا أكباد أمهاتهم/وسرقوا أرض صلاح الدين/لو قدروا فسوف يرجعون/ليذبحوا ثانية دير ياسين/ويبقروا بطون أمهاتهم ويهدموا قبر صلاح الدين/تذكروا.. وقاتلوا/وانتصروا.. وقاتلوا/ وقاتلوا» (موقع:الموسوعة العالمية للشعر العربي)

فالشاعر يستذكر مذبحه دير ياسين التي ارتكبتها الصهاينة عام ١٩٤٨ م علي أرض «صلاح الدين» وقد وصف أرض فلسطين بأرض صلاح الدين ليذكر الأمة بأن هذه الأرض التي حررها صلاح الدين ما كان ينبغي أن تدنس من قبل الصهاينة ، وهذه الأرض التي قد تربى في أحضانها الكثير من الأبطال لا ينبغي أن تبقي رهينة الاحتلال، وينبغي علي هؤلاء الأبطال أن ينتهجوا نهج صلاح الدين ويتخذوا القتال وسيلة لاستعادة الأرض.ولذلك يحثهم علي القتال ويكرر فعل«قاتلوا» لأن القتال من وجهة نظر الشاعر، هو السبيل للانتصار.

وفي قصيدة أخرى يحشد الفيتوري مجموعة من الرموز الإسلامية لاستنهاض الهمم وبث روح المقاومة والتحدي في النفوس فيقول:

«قل لهم إن صلاح الدين عاد والمهدي والأنصار قاموا/وصحا الموتى
الفدائيون/فالأفق الشرقي نار وقاتم/قل لهم عودوا إلي هجرتكم/فلسطين هي الأرض
الحرام» (المصدر السابق)

فالشاعر يذكر الصهاينة بأن هذه الأمة، التي أنجبت صلاح الدين والمهدي
والأنصار، قادرة علي إنجاب مثل هؤلاء الأبطال، ومادام الفدائيون يعيشون علي هذه
الأرض فلا مكان للصهاينة عليها، وينبغي عليهم مغادرتها والعودة إلي مهجرهم، فهذه
الأرض حرام عليهم.

أما الشاعر السوداني عبدالقادر الكتيابي يمزج بين الآيات القرآنية التي يستلهم منها
العزة والإباء وبين الرموز الإسلامية ابتداءً من أصحاب النبي(ص) حتي صلاح الدين
الأيوبي لبعث القوة في النفوس واستنهاض الهمم وتذكير الأمة بما كان لديها من أبطال
تمكنوا من تغيير مسار التاريخ:

«قل إن العزة والعن كل يهود الأرض/وكل الصرب/وكل أسود الورق بهذا
العصر/.../فبحق السادة من بدر/حتي تاريخ صلاح الدين/.../بخيولك يا عبدالله
نجوس خلال فلسطين» (الكتيابي ٢٠٠٦: ١٤٥)

وقد أشار الشاعر بقوله «إن العزة...» إلي الآية ٦٥ من سورة يونس: «ولا يحزنك
قولهم إن العزة لله جميعاً) ليحث المسلمين علي الاعتماد علي الله عز وجل، فهو الذي
«يعز من يشاء ويذل من يشاء»^٤ وأن لا يعولوا علي غيرهم في استعادة حقوقهم.

٢-١-٢: وردة بطرس ابراهيم: هي شهيدة النضال العمالي اللبناني، سقطت في مواجهة
قطاع صناعة التبغ عام ١٩٤٦ م. (موقع الأخبار)

وقد اتخذها الشاعر محمد الفيتوري رمزاً للمقاومة من أجل المطالبة بالحقوق المستلبة
وحول هذه القصة التي حدثت علي بقعة صغيرة من جنوب لبنان إلي قضية إنسانية
مقدسة، ومزج بينها وبين فلسطين فتصور فلسطين امرأة مثل وردة، قد صلبها الصالبون
وسقطت شهيدة فأخذ يقدسها ويسبح باسمها:

«ولأنك أنت فلسطين/يا امرأة مثل موج الظهيرة/في كبرياء الظهيرة/سبحت
باسمك/يا امرأة تلد الأمهات/وتولد في الأمهات/ويسقط في عشا الشهداء/وتركض

في طرقات المدائن/ طفلاً وسنبلة/.../ مقدسة أنت/ يصلبك الصالبون هناك/ وتمشين أبهي من الحلم/ في شجر التبغ والبرتقال» (الفيثوري ١٩٩٤: ٤٨)

٣-٢: **أطفال الحجارة:** اندلعت عام ١٩٨٧ ثورة الحجارة في فلسطين. «وقد سميت بهذا الأسم لأن الحجارة كانت الأداة الرئيسية فيها، كما عرف الصغار من رماة الحجارة بأطفال الحجارة، وكانت هذه الانتفاضة شكلاً من أشكال الاحتجاج العفوي الشعبي الفلسطيني علي الوضع العام المزري بالمخيمات... وإهانة الشعور القومي والقمع الذي تمارسه سلطات الاحتلال.» (ويكيبيديا الموسوعة الحرة) ومنذ ذلك الحين أضحي أطفال الحجارة رمزاً لمقاومة الأطفال لآلية الحرب الإسرائيلية، وتحول الأطفال العزل، إلا من سلاح الحجارة، إلي أبطال يواجهون القوات الإسرائيلية المدججة بالسلاح والدروع الواقية، فالحجارة الضغيرة بأيدي الأطفال الصغيرة لا تستطيع خدش الآليات الحربية الإسرائيلية إلا أن هذا المشهد، مشهد عز يعلم الكبار قبل الصغار ويعلم الحكام الذين يمتلكون الجيوش والطائرات والأساطيل أن من كان يملك الإرادة في التحدي والصمود وعدم الاستسلام أمام العدو فلن ييقي هامداً ولن يركن إلي الظلم بل ينتفض مقاوماً بكل ما يملك من أسلحة حتي وإن كانت حجارة. وقد عبر الشاعر عن ذلك عندما فضل حجارة الطفل الفلسطيني علي الجيوش العربية التي سمتت في حظائر حكامها ولكنها لم تحرك ساكناً:

«غير طفل هناك / رأي وطناً صار في حلمه حجراً/ فاستفاق/ يعجن النار والصلوات بأسنانه/ ويدوس حرير النفاق/ هتك السرّ/ فالأمس كان مراهقة/ والنضال القديم ارتزاق/ والجيوش التي سمتت في حظائر حكامها/ كذبة واختلاق» (الفيثوري ١٩٩٤: ٩٤) وفي قصيدة أخرى تحت عنوان «ليس طفلاً وحجارة» يرسم الشاعر صورة الطفل البطل الذي وصفه «برووح فلسطين المقاوم» و «الحق الذي لم يخن الحق» ذلك البطل الذي أقض مضاجع الحاخامات، فيقول:

«ليس طفلاً، ذلك الخارج/ من قبعة الحاخام/ من قوس الهزائم/ ليس طفلاً وثمانم/.../ إنه روح فلسطين المقاوم/ إنه الأرض التي لم تخن الأرض/ وخانتها الطرايش/ وخانتها العمائم/ إنه الحق الذي لم يخن الحق/ وخانت الحكومات/ وخانت المحاكم» (الفيثوري ١٩٩٤: ٥٥)

فأطفال الحجارة، من منظور الشاعر، ليسوا أطفالاً إنما هم كبار بما يحملون من معاني سامية وبما يقومون به من مهام يكاد ينوء تحت ثقلها الكبار. فالقضية التي يحملونها ويدافعون عنها، قضية وطن تراجع الحكام والجيش عن معاضدتها فقام الأطفال ليسدوا هذا الفراغ ويؤسسوا لجيل فدائي جديد:

«لست طفلاً يتجلى عابثاً/ في لعبة الكون المحطم/ أنت في سنبلة النار/ وفي البرق المثلثم/.../ لست طفلاً/ هكذا تولد في العصر اليهودي/ وتستغرق في الحلم أمامه/ عارياً إلا من القدس/ ومن زيتونة الأقصى/ وناقوس القيامة» (المصدر السابق)

وفي قصيدة «يأتي إليك العاشقون يا بغداد» يتحدث الفيتوري عن ذلك الطفل الذي يحمل حجراً ويحفر جداراً للضوء في صخور الجاهلية، الطفل الذي يعتمر الكوفية الحمراء رمزاً للنضال والتحدي ويركض عارياً إلا من الحجر المخضب في يديه، إن ذلك الطفل أحق من غيره بالنياشين التي يحملها الكثير من إمرء الحرب الذين لم يخوضوا أي معركة في حياتهم، وحجارته أشد وطأً علي العدو من إذاعات الحكام وأناشيدهم الحماسية التي يقصفون بها متاريس العدو، وأكثر حدة من السيوف الذليلة التي يعلقونها علي أكتافهم للزينة:

«كان الطفل ذو الكوفية الحمراء/ يركض عارياً/ إلا من الحجر المخضب في يديه/ أكاد إنني لا أصدق/ عارياً إلا من الكوفية الحمراء/ والحجر المخضب في يديه/ وألف نيشان من الذهب المرصع/ فوق صدر لم يخض حرباً/ وألف إذاعة مسلحة من الوزن الثقيل/ وألف طاغية يعلق سيفه قمراً/ علي عرش ذليل» (الفيتوري ١١٩٩: ١٢٩)

ثم يتساءل الشاعر عن الأساطيل التي يبينها الحكام والأمراء وفيما إذا كانت قد تم إنشاؤها لمواجهة العدو أو فيما وصفه «بالنازية السوداء» أم لمواجهة أطفال الحجارة أم للمشي خلف جنازة الوطن:

«لن إذن تلك الأساطيل التي بينونها/ في البر أو في البحر أو في الجو/ للنازية السوداء/ أم للطفل/ أم للمشي خلف جنازة الوطن القتيل» (المصدر السابق)

ثم ينهي الشاعر قصيدته معترفاً بأن الذين سرقوا طفولة هؤلاء الأطفال قد سرقوا فمه ولم يتركوا له ما يقول غير قافية علي وتر خجول:

«إن الأولي سرقوا طفولة ذلك الآتي/ من المأساة/ قد سرقوا فمي/ ولم يتركوا لي غير قافية علي وتر خجول/ سرقوا فمي ولم يتركوا لي ما أقول» (المصدر السابق)

٢-٢: الإسلام هو الحل

١-٢-٢: الاعتماد علي الوعد الإلهي بالنصر:

يري الشعراء السودانيون أن الحل الأمثل لقضايا المسلمين وعلي رأسها القضية الفلسطينية هو اللجوء إلي الإسلام واتباع نهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأن من أهم أسباب هذه الانتكاسة التي يعانها المسلمون هو الابتعاد عن الإسلام وتركه غريباً مما أدي إلي اغتراب المسلمين أنفسهم داخل أوطانهم وفقدانهم لهويتهم الإسلامية، يقول الشاعر السوداني عبدالقادر الكتيابي في هذا الصدد:

«يغصب الصرب واليهود صبايا مسلمات ولم يعد بمعيب
تلك أشراط لكعين غشاء لا يقيمون قيمة لليب
أمة العصر بئس أمة عصر طالح السميت طالح وكئيب
كل من عاش، عاش فيه ذليلاً أو إذا عزّ، عزّ غير نجيب
ديننا السمع فيه عاد غريباً فاغتربنا ولات حين نجيب»

(الكتيابي ٢٠٠٦: ٢٥٦)

فالشاعر يعتبر أمة هذا العصر بئس الأمم لأنها أضاعت المجد الذي بناه أسلافها من خلال اتباعهم للقرآن الكريم والسنة النبوية، وأصبحت رغم كثرة عددها وعدتها، كغشاء السيل كما ورد في الحديث النبوي الشريف: «يوشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعي الأكلة إلي قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغشاء السيل...» (موقع الدرر السنية)

وقد أشار إلي ذلك الشاعر الفيتوري في قصيدة «يوميات حاج إلي بيت الله» والتي يخاطب فيها النبي الأكرم فيقول:

«ياسيدي/ تعلم إن كان لنا مجد وضيعناه/ بنيت أنت وهدمناه/ واليوم ها نحن/ أجل

ياسيدي/ نرفل في سقطتنا العظيمة» (الفيتوري ١٩٩٤: ٤٨٦)

ولكن علي الرغم من ذلك فإن الشاعر السوداني لا زال متفائلاً بالنصر الإلهي:
«إذا جاء عن وعد بلفور غاصب فله قولة سيقولها»

(آدم ١٩٩٢: ٧٧)

ونجد هذا التفاؤل أيضاً عند الفيتوري الذي يتوقع أن المأساة سوف تنحسر وأن
الغضب سوف يكسو الساحة ، الغضب الذي ينهي الوجود الصهيوني علي الأرض
المقدسة وسوف يرفع المجاهدون كلمة «لا» بوجه المغتصبين:
« مرغ جيبك أني شئت/تنحسر المأساة يوماً/ويكسو الساحة الغضب/لا.../لا...»
(الفيتوري ١٩٩٤: ٥٦)

وهذه «اللاء» التي عبر عنها الفيتوري، نجدها أيضاً عند الشاعر عبدالقادر الكتيابي
الذي يري أن حل القضية الفلسطينية يكمن في الآيات الأولى من سورة الإسراء والتي
وعد الله بها المؤمنون بالنصر وبدخول المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة:

«فلا إلا لآيات مبينة بأول سورة الإسراء/وهذا اليوم رفرف آخر الوعدين قد عدتم
فها عدنا/تسوء وجوهكم منا حجارتنا/وندخله كأول مرة/عدنا نبر ما علو نعلو تكبر
خلفنا الأشجار والأحجار/والأشياء/فهذي مرة الثارات هذي» (الكتيابي ٢٠٠٦: ٢٠٨)
فالشاعر السوداني يرفض جميع ما يسمي بالحلول السلمية ويعتمد الحلول القرآنية
المتثلة بالمقاومة والجهاد في سبيل الحق ، ويرى أن هذا الحل هو الوحيد الكفيل بتحرير
القدس ، وهو علي ثقة كاملة وأمل كبير أن أمواج الجماهير الغاضبة سوف تتصل بعضها
ببعض وتشكل بحراً يغرق فيه الصهاينة كما غرق فرعون وآله من قبل:

«هنالك القدس يا قدس النبوة ها/قد كان ما كان، مما سطر الأزل/لكن سكان برج
الصخر تدرك أن البحر/آت وأن الموج متصل» (الفيتوري ١٩٩٤: ٦٣)

٢-٢-٢: المقاومة والتضحية : لقد ألغى الشعراء السودانيون جميع الحلول المستهدفة
لإنهاء الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي إلا حل المقاومة والتضحية، لأن جميع هذه
الحلول قد تم تجربتها خلال العقود الماضية ولم تجد نفعاً حتي الآن، فالخطب النارية
والشعر والأناشيد والمفاوضات وطرق أبواب الدول العظمي ما عادت تنفع ، وفي هذا
الصدد يقول الكتيابي:

«كفي يا شعر/.../هذا يوم لا خطباء/ليس بيوم تصفيق لتلفيق/ليس بعيد مائدة لمؤتمر/ولا هو معرض الأزياء/كفي يا شعر هذا اليوم يوم اللاء» (الكتيبي ٢٠٠٦: ٢٠٨)
وقد تحدث الفيتوري عن المؤمنين بالحل السلمي والمفاوضات علي أبواب الدول العظمي وقد وصفهم بالشحاذين في «أقاليم الضباب» والتي يقصد بها ،علي مايدو، عاصمة بريطانيا التي توصف بمدينة الضباب، فيقول:

«صدئت نجمة هذا الوطن المحتل/في مسراك من باب لباب/مثل شحاذ تقوست طويلاً/في أقاليم الضباب» (الفيتوري ١٩٩٤: ٥٦)

ويري الكتيبي أن المفاوضات والتوقيع علي المعاهدات ما هي إلا قصاصات ورق لا يفي بالمطلوب وأن الحل هو التضحية والتوقيع بالدم العربي:
«وفاق الزيف والتوقيع لا يكفي علي الورق/فوق بالدم العربي في الأشجار والدوار/والخانوت والنفق» (الكتيبي ٢٠٠٦: ١٢٩)

ويري الفيتوري أن الخونة والرجعيين غير قادرين علي استعادة الأراضي المقدسة وأن الشعب في نهاية الأمر، هو الذي سوف يقول كلمته ويغسل العار من خلال التضحية بدماءه:

«ليبق كل بطل مكانه/ولتصعق الخيانة/ولتخرس الرجعية الجبانة/فالشعب يغسل الإهانة» (موقع: شعراء الفصحى في العصر الحديث)
وإذا كانت الحقوق لا تُسترد إلا بالتضحية والفداء وتقديم الشهداء، فإن الأمة الإسلامية لديها الألف من الشهداء، وإذا كانت المقاومة لا تتأني إلا بوجود أبطال لا يهابون الموت، فإن الأمة الإسلامية لديها الكثير من الأبطال الذين يحتضنون المجد احتضاناً:

«وإذا التاريخ أغني أمة/بشهيد فألف شهدانا/وإذا الثورة كانت بطلاً/يطأ الموت ويحتل الزمانا/فلنا في كل جيل بطل/مجده يحتضن المجد احتضاناً» (الفيتوري ١٩٩٢: ١١٨)
فهذه الأمة ،التي تثق بالوعد الإلهي بالنصر، عازمة علي تحقيق أهدافها واستعادة حقوقها المغتصبة، ومن أجل ذلك ينبغي عليها أولاً، أن تعتمد علي الله سبحانه وتعالى وعلي قدراتها الذاتية وأن لا تعول علي قوي الشرق والغرب وأن تنتهج نهج السلف

الصالح في الجهاد والتضحية بالدم من أجل المقدسات وأن تعمل علي تعزيز قدراتها في كافة المجالات وأن تنبذ التشردم والتفرق الذي كانت عليه في زمن الجاهلية: «نسيت هذه الأرض وقع محاربتكم/ايها الزارعون/فاستردوا محاربتكم/تستردوا القضية/واذكروا أنكم عرب العصر لا عرب الجاهلية» (المصدر السابق)

فالشاعر يدعو إلي استرداد المحارث التي تركها المزارعون منذ وقت طويل، في إشارة رمزية إلي ضرورة تهيئة الأرضية التربوية والدينية للجيل الجديد والعمل علي تنشئته علي المبادئ الإسلامية الصحيحة وغرس بذور الثقة بالنفس والقوة والشجاعة في نفسه كي يتمكن مستقبلاً، من القيام بواجبه في الدفاع عن حياض الوطن ومقدساته.

وقد تنبأ الشاعر بأن الدم الذي يراق علي هذه الأرض المقدسة سوف يتحول إلي عاصفة تعصف بالاحتل، ويلمح في الأفق غيماً محملاً بالبروق والرعود يكون بداية لعهد جديد يسجل فيه الجيل الجديد ملاحم جديدة ويتحقق علي يده الوعد الإلهي:

«ويسائلك الميت الحي/والدم يختال منتصراً/عاصف غيم تلك الليالي/علي أن موجاً من البرق في الغيم باق» (المصدر السابق)

نتائج البحث

- ١-هاجم الشعراء السودانيون الحكام الخونة الذين تخلوا عن نصرة القضية الفلسطينية واتتهجوا طريق المهادنة والاستسلام أمام العدو.
- ٢- نبذ خيار المساومة والتصالح مع العدو الإسرائيلي .
- ٣- استخدام الرموز الدينية والتاريخية، أمثال صلاح الدين، لاستنهاض الهمم وشحن النفوس.
- ٤- الأمل بالوعد الإلهي بنصرة المسلمين ودخولهم المسجد الأقصى للمرة الثانية.
- ٥-خيار المقاومة والتحدي والتضحية بالنفس هو الخيار الذي اختاره الشعراء السودانيون لتحرير الأراضي المقدسة تأسيساً بالتاريخ الإسلامي وما شهده من بطولات تحققت بفضل الجهاد والتضحية في سبيل الحق.

Abstract

I have done this survey through descriptive-analysis method on one of Sudanese modern poem approaches and I used instances from their poets such as Alhadi Adam(1927-2006) , Muhammad Alfitouri (1936-2015)

and Andulghadir Alkatibani(1954) to explore their thoughts and ideas in the modern era regarding to the Palestine issue and how they treated this issue by their poets and the solution they have presented to end the Zionist occupation. I also surveyed the reasons of continuation of such occupation to the current time. The betrayal and ignorance of Arab leaders, disobedience the rules of Quran the holy book and Sunna of the prophet Muhammad (peace be upon him) and his righteousness ancestors towards jihad and the right path as well as ignoring to stand against delusive. Their most poets merge with Quran and Islamic thoughts mainly that has made the poets Quranic-Islamic style .

Key words: Palestine, Sudanese poets, Alfitouri, Alkatibani.

هوامش البحث

١ - ولد في مدينة الهلالية في السودان تخرج في كلية دار العلوم بالجامعة المصرية وحصل علي درجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، وحصل علي دبلوم عال في التربية من جامعة عين شمس، ثم حصل علي الدكتوراه الفخرية من جامعة الزعيم الأزهرى بالسودان وعمل معلما بوزارة التعليم بمدينة رفاعة. للشاعر آدم شعر وافر وله دواوين، أشهرها ديوان «كوخ الأشواق»، الذي يعده النقاد من أفضل ما قدم للأدب وللمكتبة السودانية، وكتب في مجالات الإبداع الأدبي الأخرى، وأشهر ما كتب في هذا المضمار مسرحية باسم «سعاد». كتب عدة أشعار منها قصيدة غداً ألقاك التي غنتها المطربة أم كلثوم. فيما كتب العديد من القصائد آخرها قصيدة لم تنشر بعد بعنوان (لن يرحل النيل) يصور فيها بريشة الفنان ذكرياته العزيزة التي عاد يتفقدتها في حي منيل الروضة الذي سكنه في صباه. ويعتبر النقاد في الخرطوم الراحل آدم، ٨٠ عاماً، أنه ظل لعقود في مصاف الشعراء الكبار، ليس على مستوى السودان، وإنما على مستوى العالم العربي. ورغم أتمتائه لجيل سابق للحركة الشعرية المعاصرة، فإنه يعتبر من الشعراء المحدثين. (موقع ويكي بى دى الموسوعة الحرة)

٢ - شاعر سوداني بارز. يعد من رواد الشعر الحر الحديث، ويلقب بشاعر إفريقيا والعروبة. وتم تدريس بعض أعماله ضمن مناهج آداب اللغة العربية في مصر في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، كما تغنى ببعض قصائده مغنون كبار في السودان. يعتبر الفيتوري جزءاً من الحركة الأدبية العربية المعاصرة، ويعد من رواد الشعر الحر الحديث. تعد أفريقيا مسرحاً أساسياً في نص الفيتوري الشعري، شكلت فيه محنة الإنسان الأفريقي وصراعه ضد الرق والإستعمار ونضاله التحرري و أهم الموضوعات التي تناولتها قصائده، وألف عدة دواوين في هذا

المضمار منها ديوان «أغاني أفريقيا» الصادر في عام ١٩٥٥، و «عاشق من أفريقيا» وصدر في عام ١٩٦٤م ، و«اذكريني يا أفريقيا» ونشر في عام ١٩٦٥ ، وديوان «أحزان أفريقيا» والصادر في عام ١٩٦٦، حتى أصبح الفيتوري صوتاً أفريقياً وشاعرها. وللهم العربي أيضاً مكانة في أعمال الفيتوري من خلال تناوله للقضايا العربية، خاصة القضية الفلسطينية. فقد تنقل الفيتوري بين العديد من بلدان الوطن العربي ومدنه من الإسكندرية وحتى الخرطوم ومن بيروت ودمشق حتى بني غازي وطرابلس، وكتب العديد من القصائد المهمة التي جعلته واحداً من كبار الشعراء العرب المعاصرين، كما كتب الفيتوري عن الحرية والإنعتاق ومناهضة القيود والاستبداد والإعتزاز بالوطن منذ بداياته الشعرية. (المصدر السابق)

٣ - ولد الشاعر عبدالقادر عبدالله الكتيابي في مدينة أمدرمان عام ١٩٥٤ في أسرة عرفت بإرثها العلمي والديني المتمثل في تعليم القرآن و توارث ألوان الأدب المختلفة حيث برز فيها خاله العبقري الراحل " التيجاني يوسف بشير" وشقيقه الشاعر والمفكر "أحمد عبد الله الكتيابي"، وغى رهم. ألحق الكتيابي في طفولته حسب تقاليد العائلة بخلوة جده الشيخ "محمد القاضي" بأمدرمان حيث حفظ فيها القرآن، ثم ألحق بعدها بالتعليم الأكاديمي، بعد أن تم قبوله بالمعهد العلمي لمواصلة التعليم الديني، فاجتاز مراحل الابتدائية والمتوسطة العامة والثانوية العليا بمدارس أمدرمان. سجل سرا للالتحاق بالقوات الجوية، متدرباً جويًا، حيث قضى فيها سنتين ثم هاجر إلى مصر لاستكمال دراسته قبل فترة قليلة من موعد امتحان الشهادة الأزهرية وأصر على خوضها وقد اجتازها بنجاح فتأهل لدخول جامعة الأزهر لدراسة اللغة العربية وعلومها لكنه لم يتمكن من المواصلة لظروف أسرية خاصة ثم عاد ليعمل في التدريس، كما عمل في الصحافة والإذاعة بأم درمان والقاهرة، هاجر الكتيابي في ١٩٨٦ إلى دولة الإمارات. واصل الكتيابي دراسته الجامعية على نظام الانتساب لا حقا خلال فترة اغترابه. عمل الكتيابي بالإمارات في كل من جريدتي "الفجر والاتحاد" الطبيائيتين وهيئة الإذاعة والتلفزيون في أبوظبي كما تنقل في بعض أعمال القطاع الخاص لفترات قصيرة أثناء ذلك. أصدر ديوانه الأول (رقصة الهياج) بالقاهرة عام ١٩٨٢ م ثم (هي عصاي) ديوانه الثاني بإمارة دبي وأصدر بعدهما ديوانه الثالث (قامة الشفق) ١٩٩٨ م في دبي أيضا و شارك في عدد من المؤتمرات والمهرجانات الأدبية والسمنارات العلمية للمجامع اللغوية

والجمعيات والروابط العربية في مجالات الآداب والفنون وقد كانت كل تلك المشاركات استجابات لدعوات شخصية مباشرة من تلك الجهات حيث لم تتح له فرصة تمثيل السودان رسمياً بسبب مواقفه من السلطة الحاكمة. (موقع: ويكي بي دي الموسوعة الحرة)

٤- آل عمران ١٩٣

قائمة المصادر والمراجع

وخير ما ابتدئ به القرآن الكريم

- الفيتوري، محمد (١٩٩٤ م) ديوان يأتي إليك العاشقون، مصر، دار الشروق
- الفيتوري، محمد (١٩٩٤ م) ديوان شرق الشمس غرب القمر، مصر، دار الشروق، الطبعة الأولى
- الفيتوري، محمد (١٩٨٨ م) أقوال شاهد إثبات، الخرطوم، منشورات الفيتوري الثقافية
- الفيتوري، محمد (١٩٩٤ م) قوس الليل قوس النهار، مصر، دار الشروق
- الكتيابي، عبدالقادر (٢٠٠٦ م) ديوان الكتيابي، المجموعة الكاملة، السودان، الطبعة الأولى
- آدم، الهادي (١٩٩٢ م) ديوان كوخ الأشواق، السودان، مكتبة الكاملابي
- شحده، يوسف، الأدب المقاوم في فلسطين، الجامعة الإسلامية، غزة
- مجيدي، حسن (١٣٩٠ هـ ش) ادبيات مقاومة، جامعة باهنر كرمان
- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة wikipedia.org
- موقع شعراء الفصحى في العصر الحديث www.poetsgate.com
- موقع الموسوعة العالمية للشعر العربي www.adab.com
- موقع الدرر السنية www.dorar.net
- موقع الأخبار www.al-akhbar.com